خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود و الإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١١/٠٦/١٧

في "غروس غيراؤ" بألمانيا

✡✡✡✡✡

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

من منن الله العظيمة علينا نحن الأحمديين أنه وفقنا للإيمان بإمام الزمان. ولو ظل الإنسان يشكر الله تعالى طوال حياته على منته هذه ما أدّى حق شكره. يقال إن عدد المسلمين في العالم الآن يقارب المليارين، وإننا نضع أمامهم نبوءة النبي ﷺ وقوله عن بعثة المسيح والمهدي في القرن الرابع عشر وبدء عصر جديد لإحياء الإسلام بعد عصر الظلام، ووصيته بالإيمان بمبعوث السماء والمحب الصادق له ﷺ عند تحقق الآيات الدالة على صدقه، ومن أعظمها

خسوف القمرين في رمضان في تواريخ محددة، و لم تظهر هذه الآية قط منذ أن خلق الله السماوات والأرض. إضافة إلى ذلك لفت الله تعالى الانتباه إلى الأمر نفسه بقوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾(الجمعة ٤)، ولقد فسره النبي ﷺ إذ أوصى الأمة بالبحث عن هذا المبعوث في العجم، كما قال لهم "أقرِئوا عليه مني السلام" و"بايعوه لو حبوًا على جبال الثلج". هذا ولقد علّم الله تعالى المسلمين من أجل قبول الحق والثبات عليه، ومع هذا كله فلم يوفَّق إلا خمس أو سبع بالمئة منهم للإيمان بإمام الزمان. فمع أن المسلمين يداومون على دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في صلواتهم مرات كثيرة يوميًا، ومع وجود النبوءات القرآنية وأقوال النبي ﷺ ونبوءاته فلا زال معظم المسلمين مصرين على تكذيب إمام الزمان رافضين الإيمان به. لا شك أن الله تعالى يهدي أصحاب الطبائع السعيدة من غير المسلمين والملحدين واللادينيين إلى طرق الهداية والرشاد فينضم هؤلاء بالألوف سنويًا إلى صفوف الجماعة الإسلامية الأحمدية، ولكن من ناحية أخرى لا زال البعض – الذين يُدعون مسلمين – قد أوصلوا عداوتهم لإمام الزمان إلى منتهاها متبعين مشايخهم المغرضين. وهبهم الله العقل والفهم! أما المشايخ فقد وصل بهم الأمر إلى هذه الدرجة وكأن جميع أبواب الإصلاح قد سدّت أمامهم الآن، أما الذين يتبعونهم بجهل أو بالحب المزعوم للرسول ﷺ فندعو الله تعالى أن يهديهم ليعرفوا إمام زمانهم ويرتدعوا عن العداء –الذي يناصبونه له في بعض المناطق والذي قد بلغ أوجه – ويحسنوا عاقبتهم.

ليت دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يخرج من صميم أفئدة المسلمين فتنال الأمة المسلمة أفضال الله تعالى وبركاته فينظر إليهم العالم أيضا بنظرة الاحترام والتوقير والتكريم. يقول المسيح الموعود عليه السلام مفسرًا آية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

"لقد أوصى القرآن الكريم من أجل الرقيّ المادي أن نتبع ملكًا واحدًا، كذلك أكّد على الرقيّ الروحاني أيضا وإلى ذلك أشار عندما علمنا دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. فينبغي أن نفكر في أنه لا يخلو أي مؤمن ولا أي إنسان ولا حتى أي حيوان من نِعم الله تعالى، ولكن لا يسعنا القول إنه تعالى أمرنا باتباع صراطهم، بل المراد من هذه الآية أن يوفقنا الله تعالى لاتباع صراط الذين نزلت عليهم أمطار النّعم الروحانية بأكمل صورة وأتمها."

فلقد أشير في هذه الآية إلى أن تلتزموا بإمام الزمان. أما إمام الزمان فقد عرفه حضرته عليه السلام قائلا إنه قد يكون رسولا وقد يكون مأمورًا من الله تعالى لهداية العالم. أما في هذا العصر فإن المحب الصادق للنبي ﷺ لهو أمام الزمان وهو المسيح الموعود والإمام المهدي الذي بعث في هذا العصر بهذه النعمة من الله تعالى. وإن بركات النبي ﷺ التي وُعِدنا باستمرارها إلى يوم القيامة ستستمر الآن وفق نبوءاته بواسطة المسيح الموعود عليه السلام، ولا تُنال إلا بالارتباط به عليه السلام.

لقد استفاض الصحابة حق الاستفاضة من بركات تلك النعمة التي نزلت قبل أربعة عشر قرنا، إذ كانوا يحرصون ليل نهار على أن يزدادوا إيمانًا مع إيمانهم.

وكانوا يكثرون من دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وعند الصلاة كانت كل كلمة ودعاء يخرج من صميم أفئدتهم. ولقد أنشأوا مع النبي ﷺ علاقة عديمة النظير، فمنّ الله تعالى عليهم إذ خلع عليهم لقب "رضي الله عنهم". فلقد آمنا بإمام هذا الزمان والمسيح والمهدي طاعةً لأمر النبي ﷺ من أجل نوال هذه النعمة والثبات على الهدية ومداومة السلوك في صراط المستقيم. فلا بد لنا أن نرتبط به بعلاقة تؤدي إلى نزول أفضال الله تعالى علينا. ولقد تعهدنا عند البيعة أننا سنرتبط به بعلاقة لا تعدلها علاقات أخرى بل سنؤثرها على جميع العلاقات الأخرى. هذا ما ذُكر في الشرط العاشر من شروط البيعة وهو: "أن يعقِدَ (المبايع) مع هذا العبد عهدَ الأخوة خالصًا لوجه الله.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكُثه حتى الممات، ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدِلها العلاقاتُ الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابةٍ أو صداقةٍ أو خدمةٍ."

فلا يسعنا أن نزعم بأنه قد استجيب لنا دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أو استجاب الله تعالى هذا الدعاء بحق آبائنا فوُلدنا في بيوتهم بفضله ثم وفقنا للإيمان بإمام الزمان، كلا! هذا ليس كافيًا. فما دمنا قد آمنّا بهذا الإمام طاعةً لأمر النبي ﷺ فلا بد لنا أن نخطو نحو الأمام أيضا فنركز على دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أكثر من ذي قبل. وفقنا الله تعالى دومًا للحفاظ على هذا العهد الذي عقدناه وهو عهد الطاعة في المعروف، وهدانا إلى الصراط المستقيم والالتزام به دومًا، وجعَلنا عاملين بهذا الأمر القرآني: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ١٠٣). لا يقدر الإنسان على الالتزام بالطاعة الكاملة

بجهوده ما لم يُسعفه فضلُ الله تعالى، لأنه لا بد له أن يرجع إلى الله تعالى لجذب أفضاله. وللتنبيه إلى هذا الأمر علّمه الله تعالى الدعاء المذكور حتى يواظب عليه في كل صلاة بل في كل ركعة من كل صلاة. لأن الله تعالى هو الهادي، فلا بد لكم أن تدعوه من أجل الثبات على الهداية خاشعين له ومحاسبين أنفسكم، وبدون ذلك لا يسعكم أن تعقدوا مع أحد عقدًا لا تعدله علاقات أخرى، ولا يتأتى ذلك بدون فضل الله تعالى فلا بدّ لكم أن تدوامو على طلب الهداية والعون من الله تعالى. فإذا أردنا الوفاء بعهد البيعة مع إمام الزمان فلا بد لنا من استيعاب حقيقة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ والتدبر فيها والالتزام بهذا الدعاء بكل حرقة ولوعة. لأنه لا يكفي أننا بايعنا هذا الإمام بل لا بد من الانضمام إلى النظام الذي أقامه والذي شرحه بالتفصيل في كتيب الوصية أنه نظام الخلافة.

فلو آمن أحد بالمسيح الموعود عليه السلام ثم ظل منكرًا للقدرة الثانية التي أنبأ حضرته عليه السلام بظهورها بعده أو لجأ إلى التسويف والمماطلة في الطاعة في المعروف فإنه يقطع بذلك تلك العلاقة التي تعهّد بها في شروط البيعة، وبالتالي سيُحرم من تلك البركات التي أنيطَ نزولها بالعلاقة مع المسيح الموعود عليه السلام. ولا أدَلَّ مثالاً على هذا الموضوع من مثال غير المبايعين. لا شك أنهم بايعوا المسيح الموعود عليه السلام أو بالأحرى ادّعوا بيعته ولكنهم لم يفهموا أو لم يحاولوا فهم رسالته عليه السلام – من أجل بعض المقاصد الشخصية – أن نظامَ الخلافة استمرارٌ لتلك القدرة الأولى التي أنزلها الله تعالى في صورة المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر. فمباركون من أقاموا علاقة الأخوة والوفاء مع القدرة الثانية

أيضا بعد الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام. ولكن ليس هذا هو معراج دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ للأحمدي. بل يجب أن تستمر محاسبة النفس كل حين وآن. إن دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لهو دعاء للبحث عن صراط الهداية والمضي عليه قُدُمًا في كل حين وآن، وهذا ما يجب أن يكون دأب المؤمن. أما الإنسان العادي الذي ليس حائزًا على المراقي الروحانية فهو معرَّض لهجمات الشيطان، أو بعبارة أخرى يتبعه الشيطان كل حين وآن من أجل إضلاله. فهناك عدد من الأحمديين – الذين رغم إيمانهم بالمسيح الموعود عليه السلام وعلاقتهم الوفية مع الخلافة ومساهمتهم في التضحيات المالية وخدمة الجماعة ومشاركتهم في الأعمال التطوعية – يعترفون عندما يقابلونني بأنهم مقصرون في المواظبة على الصلوات. فإذا كان الإنسان يتهاون في إقامة الصلاة التي هي الهدف الأساسي والغاية المنشودة من خلْقه، فهذا التهاون يتسبب تدريجيا في حرمانه من حسنات أخرى أيضا. فهناك أناس يعملون حسنات كثيرة، فهم يصلّون لكن معاملتهم تجاه أهلهم ليست جيدة، فهؤلاء أيضا منحرفون عن جادة الهدى، فهم لا يعملون بجميع الأحكام مع ترديدهم دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأن النبي ﷺ قد قال [خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ]، فإن الباحثين عن طرق الهداية يراعون أسوة النبي ﷺ حتى في أبسط الأمور نظرا للحب والعشق الذي يجب أن يكون عليه المؤمن تجاه النبي ﷺ فيسعون للسير على الطريق الذي أراد اللهُ ورسولُه أن يسيِّرانا عليه.

فحين نقول ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فيجب أن يكون نصب أعيننا ذلك الهدفُ وتلك الأسوةُ التي تركها لنا النبيُ ﷺ والتي عمل بها الصحابةُ الذين

نالوا فيضه ﷺ وقدَّموا لنا مَثَل أناسٍ مُنعَمٍ عليهم، والتي جددها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في هذا الزمن بقوله وفعله وأرانا طرقا تُخرج من الظلمات إلى النور، فأحدثَ صحابةُ المسيح الموعود عليه السلام بالسير عليها الانقلابَ في حياتهم وأحرزوا أسمى المدارج الروحانية. لقد تكلمت عن الحياة العائلية، فتعالوا ننظر في الحادث التالي كيف كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ينصح صحابته بحسن معاشرة الأهل:

ذات مرة جاء أحد الصحابة إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وقال له إن زوجتي عادت إلى البيت بعد المكوث عند أهلها مدة من الزمن، فقررتُ الآن ألا أسمح لها بالذهاب إلى هناك أبدا في المستقبل، فحزِن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بسماع قوله كثيرا وتألم كثيرا واحمرّ وجهُه وطلب منه الانصراف من مجلسه لأن هذه الأمور توسِّخ مجلسه، وتكلَّم معه بكلمات قاسية جدا، فطلبَ ذلك الصحابي من حضرته عفوا وقدم اعتذارا كبيرا، وكان في المجلس نفسه صحابي آخر لم يكن يُحسن هو الآخر إلى زوجه فنهض من هناك فورا وتوجَّه إلى السوق واشترى لزوجه بعض الهدايا ووصل إلى البيت وقدمها لها وتكلم معها بحب ولطف، فاستغربتْ كثيرا وتساءلت ما الذي حدث بزوجي؟ ما هذا الانقلاب الذي حدث فيه؟ فسألتْه ماذا أصابك؟ فقال لها: لقد ذُكر في مجلس المسيح الموعود عليه السلام سوءُ معاشرة الزوج فلاحظتُ استياءَ حضرته من ذلك وتألُّمَه وعتابه، (فانتبهتُ إلى سوء عشرتي لك فانصرفت من هناك فجئت هنا) فأنا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعفو عن ذنوبي الماضية التي اقترفتُها بحقك وأرجو أن تعفي عني أنتِ أيضا فسوف أحسن إليك في المستقبل.

فهذا التغير الذي يؤدي إلى سبل الهدى يبدأ من الحياة العائلية، ثم ينتشر في المجتمع وفي العالم كله، وبذلك قد عقد كل أحمدي اليوم عهد البيعة مع سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وبه يتحقق التقربُ إلى الله. فمعنى الهدى لا ينحصر في إيمان المرء بمبعوث من الله فقط، أو التمسك بالنظام، وإنما أساس الهداية على جعْل الحياة وفق هذا التعليم والعمل به. ففي ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لم نُعلَّمْ دعاءً للتوفيق لأداء حقوق الله وتقوية الإيمان فحسب بل يشمل هذا الدعاءُ طلبَ التوفيق لأداء حقوق الإنسان أيضا، بل قد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن هذا الدعاء يشمل كل جانب من مناحي حياتكم.

كثيرون منكم هنا يظلمون زوجاتهم وأنا أعلم شخصيا بعضهم، ولا أعلم عن بعضهم الآخرين، فهم طيبون خارج البيت ونبلاءُ وقائمون على طرق الهدى في نظر الناس لكنهم منحرفون عن الصراط المستقيم بخصوص سلوكهم داخل البيت، فالإحسان إلى الأهل وأفراد الأسرة ليس أمرا يستهان به، فحين قال النبيُ ﷺ "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ" فقد قال بعده "وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي" فهذا العمل ليس بسيطا هينا، فقد قدَّم النبي ﷺ أسوته لإلقاء الضوء على أهمية هذا الأمر.

فحين يدعو المؤمن بدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فينبغي أن يضع في الحسبان كل شعبة من الحياة، لكي ترتفع معاييرُ الحسنات بانتظام ويموت مسلما حين يأتيه الموتُ، فالمؤمن الحقيقي يسعى بانتظام – بعد الإيمان بإمام الزمان – كل حين وآن لرفع مستويات الحسنات ويجتهد دوما لتطوير إيمانه ويدعو الله سبحانه وتعالى قائلا: اللهم إني أسألك التوفيق للتقدم على الصراط المستقيم

الذي أقمتَني عليه، والسعيِ كل حين وآن لأزيد اتقاءً، فإن الذي يتقدم على درب التقوى فهو يخشى الله كل حين وآن ويخشع لهيبته. فالذي تتولد في قلبه خشيةُ الله فهو يسعى ويدعو ليزداد اهتماما بحقوق الإنسان ويسعى ويدعو لأداء تلك الحقوق أيضا. فكل من يدعو الله تعالى ليثبّته على الصراط المستقيم يزداد كل يوم اشتياقا لخدمة الدين أيضا، وهو يخدم الدين بإخلاص، ولا يزداد شوقا فقط لها بل تكون كلُ خطوة يخطوها نحو تأدية ما أمَرَ الله ﷻ ورسولُه خالصةً لوجه الله. فينبغي أن لا يتشبّه المؤمن الحقيقي بأولئك الذين يحسبون أنفسهم صلحاء وأبرارا في زعمهم والذين يظنون أنهم قد وصلوا إلى محطة صاروا فيها آمنين. فإذا خطرتْ ببال الإنسان هذه الفكرةُ فاعلموا أنه قد هلك روحانيا وصار في ربقة الشيطان مهما كان حائزا على درجة كبيرة من الصلاح والتقوى. فمن دأب المؤمن وشأنه أنه يداوم على محاسبة نفسه ويتقدم إلى المحطة القادمة، أما الذي يظن بعد إسداء خدمة بسيطة تجاه الجماعة أنه أصاب غايته المنشودة وبدأ يتباهى بها وبدأ يعرض عن حقوق العباد مكتفيا بعبادته وخدمته للجماعة، فسوف يُضيع مكانته بسبب هذا العمل في وقت من الأوقات حتى لو كان قد أدرك مكانة ما. لهذا فإن المؤمن الحقيقي لا ينظر إلى عمله الحسن الحالي بل يتطلع إلى عاقبته المحمودة، ويدعو لها. لا أحد في العالم يمكن أن يسبق النبيَّ في القوة القدسية، إن أحد كتبة الوحي أو يمكن أن نسميه سكرتيرا بحسب المصطلح المعاصر يسجل الوحي وكان حائزا على قرب النبي ﷺ لدرجة كان ﷺ يطلبه لكتابة الوحي، ومن هنا يتبين أن حضرته ﷺ كان يثق به، فلا شك أن سائر المسلمين أيضا كانوا يحترمون عبد الله بن

أبي السرح لكونه كاتبَ الوحي، لكنه مع ذلك كله تعثر وتردّى من مكانته المرموقة. كذلك كان بعض الناس في زمن المسيح الموعود عليه السلام متقدمين في التقرب منه وحبه لكنهم تعثروا لشقاوتهم فصاروا من ألد أعداء حضرته عليه السلام، وبدأوا يلصقون به أقذر الاتهامات وأشنعها، حيث كانوا يثيرون ضده كل يوم اعتراضا جديدا. فلا بد من التركيز على دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لإحراز حسن العاقبة، فتدبروه وأكثِروا منه، يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في موضع: إن الهدف والغاية المنشودة من خلق الإنسان هي السير على الصراط المستقيم وطَلَبُه، وقد عُبِّر عنه بـ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فهذا الدعاء يردده كل مسلم في كل ركعة من الصلاة، وإن تكراره لهذه الدرجة يلقي الضوء على أهميته. فلْتعلم جماعتُنا أن هذا الأمر ليس بسيطا هينا وأن ترديد هذه الكلمات كالببغاء ليس غاية منشودة في حد ذاته، كلا، بل إنه وصفة ناجعة غير مخطئة لجعل الإنسان كاملا، فمن واجبه أن يضعه نصب عينه كل حين وآن ويهتم به كتميمة (فقد قال عليه السلام: بهذا الدعاء سيتمكن الإنسان من أداء حق المخلوق وحق الكفاءات التي وُهبت له.) باختصار إن الغاية المتوخاة لكل إنسان أن يُحرز الكمالات التي حازَها الحزبُ المنعَم عليهم والتي أشيرَ إليها في قوله ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وعلى أبناء جماعتنا أن يهتموا بها بصفة خاصة لأن الله سبحانه وتعالى قد أراد من تأسيس هذه الجماعة إنشاءَ جماعة مماثلة لجماعة النبي ﷺ، لكي تكون شاهدة في الزمن الأخير على صدق القرآنِ الكريم والنبيِّ ﷺ وعظمتهما.

فهذه مهمة جليلة، وصحيح أنه شرف عظيم غير أنه في الوقت نفسه مسئولية جسيمة بحيث يجب على كل فرد من أبناء الجماعة أن يكون شاهدا على صدق القرآنِ الكريم والنبيِّ ﷺ وعظمتِهما.

فلا يمكن أن يكون كل أحمدي شاهدا على عظمة القرآن الكريم والنبيِّ ﷺ، إلا إذا استمر في قطع أشواط التقدم وإحرازِ معايير الذين أنعم الله عليهم مردِّدًا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وَجَعَلَ كل جانب من جوانب تعليم القرآن الكريم جزءا من حياته لا يتجزأ، وحاول التأسي بأسوة النبي ﷺ. فهذه هي المراتب والدرجات التي يجب علينا أن نحاول الوصول إليها. وعندما نسعى لذلك سنكون من الذين يفقهون مضمون: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، وبذلك سوف نحقق الهدف من وراء بعثة المسيح الموعود عليه السلام، وإلا فلا فائدة من ترديد هذه الكلمات كالببغاء كما قال المسيح الموعود عليه السلام.

ثم ينصحنا المسيح الموعود عليه السلام ويقول ما مفاده:

إذا كان هناك شيء من الزيف في جانبكم في المعاملة مع الله تعالى، فستلاقون مثله من الله تعالى أيضا. (بمعنى أنكم إذا عاملتم الله بالزيف فإن الله تعالى لا يقوم بالزيف ولكنه يدرك ذلك جيدا على أية حال، لذا فإن كنتم تزعمون بأنكم تستطيعون أن تخدعوا الله تعالى بزيفكم ومكائدكم فاعلموا أنه يدرك مكائدكم وبالتالي لن يعطيكم عليها من أجر لأنه بكل شيء عليم).

فيتابع المسيح الموعود عليه السلام ويقول: وإذا جعل أحدكم قلبه صافيا في المعاملة مع الله تعالى ولا يُنقص شيئا في هذه المعاملة، فإن الله تعالى أيضا لن يُنقص له شيئا. إن قلب الإنسان مرآة له فيستطيع أن يرى من خلالها كل ما في نفسه.

فالطريق الأمثل لاجتناب المعاناة هو أن تستغفروا الله تعالى لذنوبكم بصدق القلب وأظهِروا علاقة الوفاء والإخلاص له. وآثِروا على كل شيء عهدَ البيعة الذي اتخذتموه لأنكم ستُسألون عنه.

إذًا، فلا بد من محاسبة النفس. هناك عشرات الملايين من المسلمين الذين يقرأون الدعاء: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ولكن لا يتعدى أمرهم على الترديد كالببغاء. فهم يؤدون الصلوات من ناحية ومن ناحية أخرى يتورطون في الفتن والمفاسد. وبعضهم يتكلمون بكلام بذيء عن الجماعة بحيث يكيلون لها السباب والشتائم في مساجدهم، أو هم غارقون في الفتن فيما بينهم. هل هذا هو الصراط المستقيم الذي عُلِّمنا الدعاء له؟ كلا، ثم كلا. إن الصراط المستقيم الذي عُلِّمناه هو ذلك الذي يجعل المرء يتخلى عن تصرفات مثل تصرفات الدواب ويحوله إلى إنسان، ثم يحوله إلى إنسان مثقف ومتحضر، ثم يحوله ليكون من أهل الله. فهذه النماذج التي مَثُلت أمام أعيننا ليست على سبيل القصص والحكايات حتى نكتفي بسماعها، بل توجِّهنا إلى العمل بحسبها. وقد وجّهنا المسيح الموعود عليه السلام أن نتمسك بهذه النماذج وقد أخذ البيعة منا على هذا العهد. وإذا رسّخنا هذه العواطف في قلوبنا وعملنا بتعليم القرآن الكريم عندها فقط نُوَفَّق لتقديم عهد البيعة. وإلا لن يرضى الله بأننا قد ردَّدنا ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾. بل إذا خرجت هذه الكلمات من أعماقنا، ثم سعينا أيضا للثبوت على الصراط المستقيم ودعونا الله تعالى لذلك.. عندها تكون تلك الكلمات سببا لتقريبنا إلى الله تعالى. وإلا فكما قال المسيح الموعود عليه السلام سوف تُسألون عند الله إذا كان ادّعاؤكم شيئا وعملكم شيئا آخر. فكل دعاء

مشروط بالسعي والنية الصالحة. يقول المسيح الموعود عليه السلام بأن الله تعالى يقول: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ فهذا وعدٌ من ناحية، ومن ناحية أخرى هناك دعاء: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾. فعلى الإنسان أن يتنبه إلى هذا الأمر ويدعو بإلحاح شديد ويتمنى أن يكون من الحائزين على الارتقاء والبصيرة، حتى لا يُخرج من هذه الدنيا أعمى دون بصيرة.

فمن ناحية قد رزقنا الله تعالى بصيرة ووفقنا لنَفْقَهَ دعوة رسوله ونؤمن بإمام الزمان ونرتبط به. ولكن سبل التقدم والارتقاء مفتوحة دائما وبالتالي يظل الإنسان يجتاز مدارج الروحانية دائما ويتقدم إلى الأمام رويدا رويدا. وقال عليه السلام في مكان آخر بأن عليكم أن تُحدثوا في أنفسكم تغيّرا طيبا ملحوظا بعد انضمامكم إلى الجماعة. ولا تنظروا إلى أيِّ أمر من أوامره عز وجل باستخفاف، بل يجب تعظيمه وتبجيله.

فهناك حاجة ماسة لفهم مئات الأوامر القرآنية والعمل بها. وكل إنسان يستطيع أن يحاسب نفسه من حيث هذا السعي. والطريق الأمثل هو أن يفحص الإنسان نفسه بنفسه ويحاسبها، إذا كان شعوره متيقظا. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

إن قلب الإنسان مرآة نفسه، فعليكم أن تنظِّفوا هذه المرآة جيدا وتروا فيها وجهكم، فإذا حاول كل واحد منكم أن يرى حالة نفسه من خلالها لرآها بكل وضوح، وبذلك سوف تتلاشى اعتراضاته على الآخرين تلقائيا ويتوجه إلى إصلاح نفسه باستمرار، ويتنبه إلى قراءة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بالوعي الكامل. يقول المسيح الموعود عليه السلام بأنه يريد أن يحدُث في الجماعة تغيّرٌ

بواسطة محاسبة الإنسان نفسه. فإن محاسبة النفس توجهنا إلى عهد البيعة ومسؤولياتنا تجاهها. وكما قلت من قبل إن المؤمن الحقيقي يسعى جاهدا دائما إلى التقدم والارتقاء في الإيمان. وسأذكر لكم الآن المعايير التي بيّنها المسيح الموعود عليه السلام للمؤمن الحقيقي فيقول:

ما لم يكن لدى أحد رصيدٌ جيدٌ للحسنات *(إذ لا تكفي بضاعة مزجاة من الحسنات)* فلا يُعَدّ مؤمنا، لذلك علّم الله تعالى في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ والمراد من ذلك ألا يعُدّ الإنسان اجتناب الكبائر فقط مثل السرقة والزنا وغيرهما حسنةً، بل لَفَتَ الله الأنظار من خلال قوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أن الإنعام شيء آخر تماما، وما لم يحصل عليه الإنسان لن يُعَدّ بارًّا وصالحا. لاحِظوا هنا، لَمْ يعلّم الله دعاء: لا تجعلنا من الفاسقين والأشرار، ولم يكتف بذلك، بل علّمنا الدعاء لنكون من الذين أُنعِم عليهم.

إذًا، لا تكفي حسنة واحدة أو بضع حسنات فقط، بل من واجب المؤمن أن يجمع لنفسه رصيدا جيدا منها، ولا يمكن جمع رصيد الحسنات إلا بأداء حقوق الله وحقوق العباد، والعمل بأوامر القرآن الكريم.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في مكان آخر:

اعلموا يقينا أن أساس كل حسنة وطهارةٍ هو الإيمان بالله. فبقدر ما يكون إيمان المرء ضعيفا بقدر ما يتطرق الضعف والغفلة إلى أعماله أيضا. ولكن حين يكون الإيمان قويا ويكون المرء موقنا بكافة صفات الله الحسنة، يحدث في أعماله تغير عجيب بالقدر نفسه. إن المؤمن بالله لا يقدر على ارتكاب الذنوب. *(أي إذا كان إيمانه بالله تعالى صادقا فلن يرتكب الآثام على*

الإطلاق) لأن الإيمان يقضي على القوى النفسانية، ويبتر الجوارح التي ترتكب الذنب. فلو أُخرجت عينُ أحد فأنّى له أن يسيء النظر، وأنى له أن يرتكب الذنوب التي تتعلق بالعين. وكذلك إذا بُترت يده، أو قُضي على قواه الشهوانية فأنّى له أن يرتكب ذنوبا تتعلق بتلك الأعضاء؟ فهكذا تماما حين يكون الإنسان حائزا على النفس المطمئنة تُعميه النفس المطمئنة فلا تبقى في العيون قوة على الذنوب. فإنه يرى ظاهريا ولكنه لا يبصر، لأن الرؤية تُسلَب من عينيه. فهو يملك أذنين ولكنه يكون أصمّ لا يسمع ما يؤدي إلى الذنوب. كذلك يُقضى على كافة قواه النفسانية والشهوانية وأعضائه الداخلية فتموت جميع قواه التي يمكن أن ترتكب الذنوب. ويصبح المرء كالميت تماما ويكون تابعا لمرضاة الله كليًّا، ولا يستطيع أن يخطو خطوة من تلقاء نفسه. وهذا يحدث حين يكون الإيمان بالله صادقا، وتكون نتيجته أنه يوهَب طمأنينة كاملة.

وهذا هو المقام الذي يجب أن يسعى المرء لنيله. فقال المسيح الموعود عليه السلام بأن جماعتنا بحاجة إلى الوصول إلى هذا المقام. ولا شك أن نوال الطمأنينة الكاملة بحاجة إلى إيمان كامل. فيقول المسيح الموعود عليه السلام بأن الواجب الأول لجماعتنا هو نوال الإيمان الصادق بالله تعالى، إذ لا يكفي مجرد الإيمان به بل يجب أن ننال هذا النوع والكيفية من الإيمان. فهذه هي المعايير التي يريدنا المسيح الموعود عليه السلام أن نتحلى بها. ندعو الله تعالى أن يوفقنا للوصول إليها في حياتنا بإحداث تغييرات طيبة في نفوسنا. ندعو الله تعالى أن يزيدنا تقربا إليه سبحانه وتعالى وأن نتقدم دائما في العمل بجميع أوامره شاكرين على مننه التي منّ بها

علينا إذ ثبّتنا على الهداية بفضله ورحمته، وألا نتكاسل من حيث السعي والدعاء لترسيخ حب الجماعة في قلوب أجيالنا القادمة، وألا تُبعدنا أسباب الراحة الدنيوية الموجودة في هذه البلاد من أهدافنا الحقيقية، آمين.